المنطوق والمكتوب في اللغة الفرنسية كما يراهما دوسوسير في كتابه دروس في اللسانيات العامة

The spoken and written in the French language as seen by De Saussure in his book Lessons in General Linguistics

نوار عبيدي
Nouar.abidi@hotmail.com
جامعة الشاذلي بن جديد . الطارف

تاريخ الاستلام: 2020/12/05 تاريخ القبول: 2020/12/09 تاريخ النشر:2021/01/01

الملخص:
يهدف هذا المقال إلى كشف حقيقة المنطوق والمكتوب في النظام اللغوي للغة الفرنسية حسب ما يراه دوسوسير في كتابه دروس في اللسانيات العامة، فكثير من الباحثين ـ العرب على الخصوص ـ لا يولون أهمية للفصول الأولى من كتاب دوسوسير، ويقفزون مباشرة إلى الأبواب المتعلقة بالدال والمدلول والثنائيات واللسانيات الجغرافية وغير ذلك من المباحث، إلا أن مقدمة الكتاب تطرح قضايا خطيرة جدا تدعو إلى اهتمام الباحثين وإعادة النظر مليا في أبعادها. ومن بين تلك الآراء؛ قضية المنطوق والمكتوب في اللغة، حيث وجه دوسوسير نقدا لاذعا للغة الفرنسية التي يصفها بالوهم والخيال والتعاسة متعجبا وحائرا في الوقت نفسه على مستقبلها، وسيركز البحث هنا على تلكم النصوص الناقدة للفرنسية لفتح نقاش حولها من وجهتين الاستعمال والتعليمية؟

الكلمات المفتاحية: دوسوسير، صعوبة اللغة الفرنسية، مستقبل اللغة الفرنسية، دروس في اللسانيات العامة.

Résumé : Cet article a pour but de découvrir la vérité du système linguistique français comme il le voie De Saussure. De nombreux chercheurs n'attachent pas l'importance des premiers chapitres du livre cours de linguistique générale et d'aller directement aux chapitres du signifié et signifiant et la géolinguistiques, mais l'introduction du livre soulève des questions très graves appelant Les chercheurs à examiner attentivement leurs dimensions. Parmi ces points de vue, les critiques acerbes de De Saussure envers la langue française décrite par l'illusion, l'imagination ; Notre article se repose sur les textes critiques de De Saussure sur le Français et ce pour ouvrir le débat autour et la faisabilité de cette langue.

Mots clé : De Saussure, avenir de la langue française, cours de linguistique générale,

كثير من الأوساط التربوية والأكاديمية ترى أن اللغة الفرنسية أسهل من كثير من اللغات سواء من حيث تدريسها أو نطقها أو استعمالها، إلا أن الحقيقة مجانبة لذلك، فكثير من الفرنسيين اليوم وبعض الأوساط الرسمية وغير الرسمية تنادي بضرورة الانتباه لما لحق الفرنسية من تقهقر وتراجع من حيث الاستعمال مقابل اللغة الإنجليزية والإسبانية والعربية والصينية على الخصوص، ويعود سبب تقهقر هذه اللغة إلى طبيعتها الصعبة واعتمادها على ما يسمى بالوهم اللغوي والخيال على حد تعبير دوسوسير.

ومعلوم أن اللغات الشفوية لم يعد لها مكان يذكر إلا في المخيال الثقافي، وتسعى الشعوب إلى الحفاظ على لغتها وحضارتها بسبيل واحد هو تسجيلها كتابة لحفظها من الاندثار وإتاحة الفرصة للأجيال القادمة لتناولها حفظا وفهما، فالكتابة هي الحامل الأساس للغة ليس فقط برسمها وتحديد أصواتها خطيا بل بمحاولة إضفاء الشكل الجمالي للخط الذي أصح مفخرة الشعوب.

وإذا نظرنا إلى اللغة الفرنسية مثلا سنلاحظ ببساطة جدا ظاهرة مثيرة للانتباه وهي عدم مطابقة منطوقها لمكتوبها، ونحن سنتناول هذه الظاهرة كما رآها دوسوسير في كتابه دروس في اللسانيات العامة دون البحث في أسبابها التاريخية، فلأننا نريد فقط الإشارة إلى هذه المسألة الخطيرة التي جعلت من الفرنسية لغة بشعة ومتوحشة كما ذكر دوسوسير، ولأن أغلب الباحثين الذين مهدوا للسانيات الحديثة في العربية كانوا يتحاشون عن قصد أو عن غير قصد الحديث عن هذه الظاهرة العجيبة، فوجب كشفها للسانيين المبتدئين الجدد. وفي البداية يجب أن نعرف بسرعة تاريخ الفرنسية.

1. أصل اللغة الفرنسية:

يعتقد كثير من الباحثين أن اللغة الفرنسية الحالية المنتشرة في العالم لغة لها تاريخ وأصل ونسب كما تعرفه اللغة العربية مثلا ذات الجذور العميقة في التاريخ، والحقيقة أن هذه اللغة الفرنسية لم تر الوجود الحقيقي إلا في القرن التاسع الميلادي فهي حديثة النشأة ولا تزال في بداية طفولتها، حيث تبادل (لويس الجرماني) سنة (845 م) مع (شارل الأصلع) أحلاف ستراسبورغ **باللهجة الجرمانية والرومانية** (التي هي الفرنسية اليوم)، ولم يتم ذلك باللغة اللاتينية كما جرت العادة.[1] وهذا يعني أن الفرنسية عبارة عن خليط من جمع بين اللهجة الجرمانية التي هي الألمانية واللهجة الرومانية القديمة التي تنزل من اللغات الهندو أوروبية. مما يدل بحداثة وصغر هذه اللهجة التي لا يتجاوز عمرها بضع قرون.

ثم تشكلت في فرنسا مجموعة من اللهجات أبرزها الشمالية والجنوبية، ولأسباب سياسية واقتصادية تغلبت اللهجة الشمالية على الجنوبية وأصبحت أكثر استعمالا. ولم تكن اللاتينية آنذاك إلا لغة البورجوازيين والطبقة العليا من رجال الدين والعلماء، حتى انحصرت مؤخرا في بعض الكنائس ولا تكاد تجد لها وجودا اليوم ما عدا في بعض أقسام اللغات في بعض الجامعات. أما عامة الشعب فيستعملون ذلك الخليط من الألفاظ الجرمانية والرومانية وبعض الكلمات اللاتينية وأخرى عربية ورثوها من الفتوحات التي وصلت فرنسا، "وفي القرن 16م دخلت اللهجة الفرنسية عالم الطب ثم ترجم إليها كثير من الكتب فأصبحت تستهوي الناس والأدباء في استعمالها".[2]

ويجب أن نعرف أن هذه الفرنسية المتداولة اليوم هي التي فرضها لويس الرابع عشر بالقوة على الشعب الفرنسي، واختار منها اللهجة العامية البارسية وجعلها اللغة الجامعة والشاملة، وأصدر قانونا يجعل من هذه اللهجة لغة الأدب والإدارة، وفي سنة 1794 شرعت الثورة الفرنسية قانون استعمال اللغة الفرنسية

الذي احتفلت به فرنسا سنة 1994 في ذكراه المئوية الثانية، فجددت فرنسا قانون حماية اللغة الفرنسية الذي يعرف اليوم بقانون توبون.[3]

ولم تفرض اللغة الفرنسية فرضا بالقوة على شعبها فقط؛ بل عرفت كثير من الشعوب المستعمرة فرضا قويا لاستعمال اللغة الفرنسية خاصة في إفريقيا وآسيا، وقد عاش الشعب الجزائر ويلات كبرى جراء فرض استعمال الفرنسية عليه، وتاريخها في محاربة اللغة العربية وتعليمها مقابل فرض الفرنسية واستعمالها في كل المجالات يعرفه كل العالم، كما يعرف كيف دافع الشعب الجزائري على هويته ولغته ودينه وما بذلته النخبة العلمية والدينية في سبيل العربية خاصة رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.[4]

2. بعض مظاهر نظام اللغة الفرنسية:

حتى لا يطول بنا الحديث عن النظام اللغوي في اللغة الفرنسية فقد اخترنا بعض الظواهر التي تحدث دو سوسير عن بعضها في دروسه، واخترنا من المظاهر ما بدا لنا صعبا من حيث فهم أصول الظاهرة وسبب وجودها، كما اخترنا بعض الظواهر التي لا منطق لغوي لها ولا تفسير، بالمقابل مع اللغات الأخرى (بعض الساميات مثلا).

1 صعوبة نطقها عند غير الناطقين بها: يعرف النظام اللغوي في اللغة الفرنسية نوعا من الصعوبة في التلفظ، ولعل ذلك ظاهر في اختلاف الصوائت المتشابهة، فلا يستطيع المتعلم أن يفرق بين الصوائت الآتية مثلا (E I U Y)، فالفر ق بين هذه الأصوات عند المتعلم غير الناطق بها غير واضح تماما، ويلاحظ ذلك في لكنة بعض الأفارقة وهم يبالغون في التحدث بالفرنسية، فتجده إذا أراد أن ينطق الـ U مثلا يتلعثم لسانه مما يحدث بعض السخرية عند المستمعين، وقد يحاول التلميذ الجزائري أن ينطق الحرف DU فينطقه DEوهذا معروف في اللكنة الجزائرية، لذلك تجد تلاميذ المدرسة الجزائرية وبعد أكثر من عشر سنوات وهم يدرسون الفرنسية في الأطوار الثلاثة لا يستطيعون نطقها بطريقة سليمة، ويمكن

أن تجرب ذلك مع أي تلميذ ثانوي، نعم يعرف كيف يكتب اللفظة والجملة لكن إذا أراد نطقها فسوف يجد في ذلك صعوبة كبيرة، بخلاف العربية التي يتعلمها الأجنبي ثم يستعملها بطلاقة عجيبة. ولتجاوز هذه المعضلة وجدنا الخبراء اللسانيين الفرنسيين يشجعون تعلم النطق بالفرنسية بنشر مئات الأشرطة والفيديوهات عبر الأنترنيت للتدرب على النطق، كما يشجعون كثيرا مشاهدة الأفلام الناطقة بالفرنسية للغرض نفسه، ولكن لاحظنا أن كثيرا من الجزائريين يشاهد في السنة مئات الأفلام بالفرنسية ولكن يبقى نطقه بالفرنسية صعبا.

2 كثرة حروف العلة: للعربية ثلاثة حروف علة فقط وهي الألف والواو والياء، أما في الفرنسية فهي كثيرة جدا: A E I O U W Y وبعض هذه الحروف يمكنه أن يجتمع مع حرف أو حرفين ويؤدون نفس التصويت مع اختلاف كبير في الدلالة، فالصائت (O) مثلا نجد له أشكالا أخرى بمعاني مختلفة مثل: Au, Eau, , فالأولى بمعنى الماء، والثانية بمعنى نحو أو إلى. وهناك عشرات الألفاظ التي تنطق بالطريقة نفسها لكن تختلف في الكتابة مثل حرف الغنة ON الذي نجده في مثل هذه الألفاظ ذات الدلالات المختلفة:

Ant. Ent. Ont. En. An.

وقد تجد حرف علة في الفرنسية غير وارد في قائمة الحروف الهجائية البتة وهو صوت (è) الشبيه في العربية بالألف الممالة، قد يجيء مفردا (è) أو مجموع حرفي علة (A,I)، والمتعلم للفرنسية سيحتار أمام مثل هذه الألفاظ التي تنطق بالطريقة نفسها ولكن لها دلالات مختلفة: Mer, Mère, Maire، ومثل ذلك في ET .EST الأول ملحق بفعل الكينونة، والثاني حرف عطف.

أما حرف (Y) فله وضع استثنائي، حيث لا فرق بينه وبين الصائت (I) في الاستعمال، والأغرب من ذلك أن الصائت (W) قد يستعمل صامتا بخلاف أصله حيث ينطق (V) في مثل قولهم WAGON أي القاطرة، أما اسمه فمشتق من حرف (V) مكرر. أي Double V

3 صعوبة في الصوامت: تعرف الفرنسية عدم ضبط دقيق لكثير من الصوامت، حيث لا يمكن أن نفسر الفرق بين الحرف (F) مثلا وبين نفس الصوت الذي يكتب PH فكلاهما ينطق (آف) ولكن صورتهما مختلفة تماما، وليس لجمع الحرفين في (PH) أي مبرر لغوي منطقي، ومثل ذلك حرفا V و W ,وحرفا G وJ ، وحرفا SوC أما حرف الـ H فهو حرف يحمل كثيرا من الوهم والخيال كما قال دوسوسير نفسه، فهو مرة حرف صائت ومرة صامت، ومرة لا ذاك ولا هذا.

4 الأزمنة الفرنسية: إذا كانت العربية تعرف في أزمنتها الصرفية زمنين فقط وهما الماضي والمضارع (الحاضر + المستقبل) بالإضافة إلى الأمر، فإن الفرنسية تحتوي على أزمنة كثيرة جدا إلى درجة أن الفرنسيين أنفسهم لا يستعملونها كلها، والزمن الماضي فقط يحتوي على الأزمنة الآتية:

الماضي التام le plus que parfait يعني جيد جدا

الماضي البسيط le passé simple

الماضي المركب le passé compose

الماضي المستمر l' imparfait غير جيد

المستقبل البسيط le future simple

المستقبل القريب le future proche

الأمر impératif

الشرط الماضي conditionnel passé

الشرط الحاضر conditionnel présent

subjonctif

بالإضافة إلى تصريف الأفعال بغير صورتها الأصلية مثل تصريف الفعل aller الذي يتحول إلى: je vais, tu va, il va وكأنه ينقطع تمتما عن جذره الأصلي.

4 عجزها عن التعبير عن بعض المسميات مثل الأرقام:

العدد سبعون 70 الذي يكتب هكذا Soixante-dix، ومعناه 60+10

والعدد ثمانون 80 الذي يكتب هكذا Quatre-vingts، ومعناه 4 x 20

والعدد تسعون 90 الذي يكتب هكذا ، Quatre-vingt dix ومعناه 4x 20 + 10

وهذا العجز ناتج عن ضعف كبير في المعجم اللفظي للفرنسية، ولو كان الأمر متعلقا بمصطلحات جديدة تفرض اللجوء إلى النحت؛ أو متعلقا بألفاظ قليلة الاستعمال؛ لكان الأمر هينا، أما أن تكون هذه الألفاظ الحسابية التي تستعمل مئات الآلاف من المرات في الثواني لاحتياجات علمية وتعليمية واقتصادية؛ فإن الأمر يدعو إلى الحيرة، كيف لا تجد لغة مثل هذه ألفاظا مناسبة لهذه المدلولات؟

5 المعجم اللغوي الفرنسي من أصعب المعاجم:

حيث يضطر متعلم الفرنسية أن يحفظ مئات الألفاظ بل الآلاف لكي يتمكن من كتابتها بالطريقة السليمة والصحيحة، ولا توجد لغة في العالم تحمل هذه الصعوبة مثل الفرنسية، وحتى الإيطالية والإسبانية والإنجليزية تعرف مرونة في كتابة الألفاظ أحسن من الفرنسية التي يحتاج متعلمها يوميا حمل معجم صغير لحفظ ألفاظها ومعانيها. وللتقليل من هذه المشكلة تشجع الأوساط الفركنفونية على حفظ الألفاظ الفرنسية باللجوء إلى الألعاب اللغوية، ولعل من أشهر الحصص التليفزيونية التي تعنى بالألعاب اللغوية حصة حروف وأرقام (des chiffres et des lettres) التي لا تزال تبث إلى اليوم، ومثل ذلك لعبة السكرابل، وتنظيم جوائز الإملاء المنتشرة في كثير من الدول منها الجزائر.

6 دوسوسير ومسألة عدم مطابقة الصوت للحرف:

قبل التطرق إلى آراء دوسوسير حول بعض الظواهر العجيبة في النظام اللغوي الفرنسي؛ نريد أن نعرض رأيه في اللغة المنطقية السليمة والتي تتمثل في المنطوق والمكتوب والعلاقة بينهما التي تصل إلى حد المثالية، وبعد ذلك سنقدم نصوصا صريحة تمثل نقدا لاذعا للنظام اللغوي الفرنسي.

- **الكتابة المثالية عند دوسوسير:**

جاء الباب السادس من كتاب دروس في اللسانيات العامة لدوسوسير بعنوان: **تمثيل اللغة بواسطة الكتابة**؛ وعلى مدى اثنتي عشرة صفحة أبدى دوسوسير استغرابا كبيرا من اللغة الفرنسية وحتى الألمانية من لا منطقية الكتابة وعدم مطابقتها لأصواتها، وقد ذكر دوسوسير أن الكتابة إذا حرمنا منها فإننا "**لا ندرك من اللغة بعدئذ سوى كتلة لا معالم لها لا يدرى ما يصنع بها، فيكون في ذلك شأن متعلم السباحة يجرد من حزام النجاة**"[5].

celui qu'on prive de cette image sensible risque de ne plus apercevoir qu'une masse informe dont il ne sait que faire. C'est comme si l'on retirait à l'apprenti nageur sa ceinture de liège. De Saussure, cours de L G. P43

ويرى دوسوسير أننا إذا " **جردنا اللغة من دلالتها الخطية لم تعد تمثل سوى تصورات يحيط بها الغموض والإبهام، فترى المرء في هذه الحالة أيضا يفضل الاستناد إلى الكتابة وإن خدعته**"[6].

car détachés de leurs signes graphiques, ils ne représentent plus que des notions vagues, et l'on préfère encore l'appui, même trompeur, de l'écriture. P43

وكان دوسوسير يدرك الأوهام التي لحقت بالكتابة في اللغات الهندوأوروبية، وقال إن همنا الأساسي" **أن نعرف ما هو العون الذي يمكن الألسنيين أن ينتظروه من هذا العلم (ويقصد الفنولوجية) حتى يتخلصوا مما تتسبب فيه الكتابة من أوهام**"[7].

ici, nous rechercherons seulement quel secours la linguistique peut attendre de cette science pour échapper aux illusions de l'écriture. P44

إن دوسوسير كان في حيرة كبيرة من أمره ولم يستطع أن يجد حلا لهذه المعضلة وقد صرح أن الكتابة الحقيقية " **ينبغي أن يكون القصد منها تمثيل كل عنصر من السلسلة المنطوقة بعلامة واحدة**"[8]

Quels sont les principes d'une véritable écriture phonologique ? Elle doit viser à représenter par un signe chaque élément de la chaîne parlée. P44

أي بصورة واحدة تقابل الصوت المنطوق. وهذا غير متوفر البتة في الفرنسية بل وفي كل لغات العالم ما عدا اللغة العربية[9].

خلاصة رأي دوسوسير في اللغة المثالية أنه إذا لم يوافق المنطوق المكتوب فقد تجرنا اللغة إلى مغالطات كبيرة لا تحتمل، وقد وضح ذلك بتعلم مبتدئ في السباحة دون سترة الإنقاذ، ويدل هذا على وضع لغوي غير سليم.

- **مظاهر لا منطقية الكتابة في اللغة الفرنسية**

لو أخذنا مثلا تلميذين جديدين في التعليم، وعلمنا أحدهما حروف العربية وكتابتها، وعلمنا الآخر حروف الفرنسية وكتابتها، ثم أملينا على كل واحد منهما بلغته فقرة صغيرة؛ فإن المتعلم للعربية لن يجد صعوبة في كتابة الفقرة لأنه سيكتب ما يسمع تماما، بينما لا يستطيع متعلم الفرنسية أن يكتب شيئا، لأن ما يسمعه لا علاقة له بما يجب كتابته، ومن أمثلة ذلك الألفاظ الاتية:

Fille, monsieur, travailler, wagon, compagne, est, et, garçons, aujourd'hui, temps,

والأصح أن نكتبها هكذا على التوالي:

Fie, mesieu, travaé, vagon, companye, é, é, garson, ojourdoui, ton

وقد أرجع دوسوسير بعض هذه الظاهرة العجيبة إلى تطور دون انقطاع في الاستعمال، وبعضها إلى وهم المستعملين، وبعضها إلى التفكير الايتميولوجي[10]. لكنه بقي في تعجب واستنكار من الظاهرة.

Il y a encore la préoccupation étymologique ; elle a été prépondérante à certaines époques, par exemple à la Renaissance. **Souvent même c'est une fausse étymologie qui impose une graphie** ; ainsi, on a introduit un *d* dans notre mot *poids*, comme s'il venait du latin *pondus*, alors qu'en réalité il vient de *pensum*. Mais il importe peu que l'application du principe soit correcte ou non : c'est le principe même de l'écriture étymologique qui est erroné. Ailleurs, la cause échappe ; **certaines chinoiseries n'ont pas même l'excuse de l'étymologie. Pourquoi a-t-on écrit en allemand *thun* au lieu de *tun*** ? On a dit que le *h* représente l'aspirée qui suit la consonne ; mais alors il fallait l'introduire partout où la même aspiration se présente, et une foule de mots ne l'ont jamais reçu (*Tugend*, *Tisch*, etc.). P38

وكلها تبريرات لا تفسر حقيقة هذه الظواهر، يقول دوسوسير: "**وقد يطول بنا الحديث إن نحن حاولنا أن نقيم جدولا نرتب فيه ما في الكتابة من اضطرابات وخلل، ومن أتعسها رسمهم للصوت الواحد بعلامات عديدة، فإنك تجد لصوت الجيم في الفرنسية ثلاث صور وهي: j , g, ge ...ولصوت الزاي صورتين.. ولصوت السين ثماني صور وهي: dix, sç, sc, nation, chasser, s , c, ç**[11] "

Il serait trop long de classer les inconséquences de l'écriture**. Une des plus malheureuses est la multiplicité des signes pour le même son.** Ainsi pour *ž* nous avons en français : *j*, *g*, *ge* (*joli*, *geler*, *geai*) ;pour *z* : *z* et *s* ; pour *s*, *c*, *ç* et *t*
(*nation*) ; *ss* (*chasser*), *sc* (*acquiescer*), *sç* (*acquiesçant*), *x* (*dix*);
pour *k* : *c*, *qu*, *k*, *ch*, *cc*, *cqu* (*acquérir*). Inversement plusieurs valeurs sont figurées par le même signe : ainsi *t* représente *t* ou *s*, *g* représente *g* ou *ž*, etc. P39

فهو يتعجب ويصف تعدد العلامات لصوت واحد بالتعاسة اللغوية، يقول متعجبا في موضع آخر : "**ولئن كان لهذه الصور الخطية اللامنطقية ما يناسبها في اللغة وإن قليلا، فإنه توجد صور خطية أخرى ليس لها من مبرر إطلاقا، فليس في الفرنسية اليوم حروف مضاعفة إلا في صيغ التصريف القديمة الدالة على المستقبل كما في mourrai و courrai. ورغم ذلك فإن صور رسمهم في الفرنسية تعج بحروف مضاعفة لا مبرر لها كما في bourru و sottise و souffrir وغيرها.**"[12]

Ces graphies irrationnelles correspondent encore à quelque chose dans la langue ; mais d'autres ne riment à rien. Le français actuel n'a pas de consonnes doubles, sauf dans les futurs anciens *mourrai*, *courrai* : néanmoins, notre orthographe fourmille de consonnes doubles illégitimes (*bourru*, *sottise*, *souffrir*, etc.). P39

ويعترف دوسوسير أن النتيجة البديهية لهذه الكتابة هي أنها " **تقيم بيننا وبين اللغة حجابا يمنعنا من رؤيتها كما هي، وذلك أن الكتابة ليست ثوبا عاديا**

تلبسه اللغة بل هي قناع خداع تتنكر فيه، ويتجلى لنا هذا في صورة رسمهم للكلمة الفرنسية oiseau حيث لم يرسموا أي صوت من أصوات الكلمة المنطوقة: waso بواسطة دليله الخاص به، فلم يبق شيء من الصورة الحقيقية للغة"[13].

Le résultat évident de tout cela, c'est que l'écriture voile la vue de la langue : elle n'est pas un vêtement, mais un travestissement. On le voit bien par l'orthographe du mot français *oiseau*, où pas un des sons du mot parlé (*wazo*) n'est représenté par son signe propre ; il ne reste rien de l'image de la langue. P40

وهذا مثال واحد من بين عشرات الألفاظ التي تكتب ولا علاقة لها البتتة بمنطوقها، فالحروف الثلاثة الموجودة في الفعل الملحق بالكينونة EST لا علاقة لها بالصوت (é). وقال في موقع آخر: "وتتجلى هذه الأوهام حتى في القواعد النحوية"[14].

Ces fictions se manifestent jusque dans les règles grammaticales. P41

وقال عن حرف الـ H " **وما الـ h في اللغة الفرنسية في الخط إلا كائن من صنع الوهم والخيال تسببت في اختلاقه الكتابة"**[15]

et l'*h* n'est qu'un être fictif issu de l'écriture. P41

ويعتقد دوسوسير أن الفرنسية وصلت لنا بفضل مجهودات برتلو Berthelot الذي حسب قاسطون دي شان Gaston des champs هو الذي " **صان اللغة الفرنسية من التلف والاندثار بتصديه لتيسير قواعد رسمها"**[16]

Gaston Deschamps ne disait-il pas de Berthelot « qu'il avait préservé le français de la ruine » parce qu'il s'était opposé à la réforme orthographique ? . P35

وبالرغم من ذلك فلم يكن دوسوسير متفائلا بمستقبل اللغة الفرنسية وهو يتنبأ بتشوه صورتها أكثر فيقول: **" ومن المحتمل أن هذه التحريفات ستتكاثر على مر الزمان وأن نطق الناس بالحروف الزائدة في الخط سيزداد، إنك لتجد الناس**

في باريس ينطقون بعد sept femme التاء نطقا صريحا، بل ويتوقع دارمستاتر Darmesteter أنه سيأتي يوم ينطق فيه الناس حتى بالحرفين الأخيرين من كلمة vingt ويا لها من صورة خطية مشوهة.[17]

Il est probable que ces déformations deviendront toujours plus fréquentes, et que l'on prononcera de plus en plus les lettres inutiles. A Paris, on dit déjà : *sept femmes* en faisant sonner le *t* ; Darmesteter prévoit le jour où l'on prononcera même les deux lettres finales de *vingt*, véritable monstruosité orthographique. P42

ويمكن أن نضع عدة أسطر حمراء تحت آخر جملة من هذا النص وهي:

, véritable monstruosité orthographique.

وترجمتها الحرفية هكذا (إنها وحشية إملائية حقيقية)، وإن كانت الترجمة التونسية لم تدقق افي دلالة اللفظة . عمدا أو سهوا . ولكنها عبارة سوسيرية شديدة اللهجة، ويعترف دوسوسير أنه " **بعدما تبين ما تتصف به الكتابة من تضليل وخداع، فإنه من الخطأ أن نعتقد أن أول ما ينبغي أن نبادر به هو أن نعمد إلى إصلاح قواعد الرسم**"[18] ،

C'est donc une erreur de croire qu'après avoir reconnu le caractère trompeur de l'écriture, la première chose à faire soit de réformer l'orthograph . P45

وهذا اعتراف خطير من دوسوسير يدعو من خلاله إلى عدم إضاعة الوقت في إصلاح الكتابة والإملاء الفرنسية لأنه فات الأوان وانتهت الفرنسية إلى هذه الكارثة الكبرى. وبالمقابل وأمام هذا الوضع الصعب للغة الفرنسية يدعو دو سوسير إلى دراسة وفهم هذه الظاهرة التي يسميها التحريفات والتي سببها عامل خارجي غير معروف فيقول: "**ولهذه التحريفات الصوتية وجود حقيقي في اللغة إلا أنها ليست ناتجة عن عمل اللغة الطبيعي، بل المتسبب فيها عامل لا يمت إليها بصلة، ويتعين على الألسني أن يفرد لها قسما خاصا يفحصها فيه، ذلك أنها تمثل حالات مسخية**"[19]

Ces déformations phoniques appartiennent bien à la langue, seulement elles ne résultent pas de son jeu naturel ; elles sont dues à un facteur qui lui est étranger. La linguistique doit les mettre en observation dans un compartiment spécial : ce sont des cas tératologiques: . P40

خاتمة:

نخلص من كل ذلك إلى ما يأتي:

1. إن كثيرا من اللغات بخلاف العربية تنقصها خاصية التطابق بين المنطوق والمكتوب، وهذه الخاصية اللغوية من شأنها أن تذلل كل الصعاب في تعلم وتعليم اللغة للناطقين وغير الناطقين بها.
2. تعد اللغة الفرنسية من اللغات التي تعاني كثيرا من عدم تطابق منطوقها بمكتوبها مثلها مثل كثير من اللغات الهندوأوروبية النازلة من اللاتينية كالألمانية والإنجليزية.
3. إن انتشار الفرنسية في كثير من الدول ليس بسبب مرونتها أو سهولتها، إنما يعود ذلك إلى أسباب سياسية وعسكرية وتاريخية واقتصادية بحتة. سمحت بفرض الفرنسية على الشعوب المستعمرة.
4. اعتراف دوسوسير بصعوبة وبؤس اللغة الفرنسية ونعتها بالخادعة والواهمة لدليل على عدم منطقية هذه اللغة وأنها حيرت الباحثين والألسنيين في نظامها الكتابي العجيب.
5. عدم تفاؤل دوسوسير بمستقبل الفرنسية وأنها ستقود الناطقين بها إلى متاعب كثيرة.
6. كان على المشتغلين باللسانيات التمهيدية الإشارة إلى هذه المقولات الخطيرة لدوسوسير عن الفرنسية، ونحن نتساءل عن سبب عدم التطرق في الكتابات اللسانية العربية الأولى لهذه الظاهرة، وراح التركيز في شرح نظرية دوسوسير على الثنائيات وبعض الظواهر اللغوية دون الحديث عن كوارث الفرنسية حسب دوسوسير؟

7. هل يمكن الآن أن يقتنع الناس بأن هذه اللغة يمكن تجاوزها
8. هل يمكن الآن أن يقتنع الناس بأن هذه اللغة يمكن تجاوزها إلى لغات أخرى أكثر مرونة وعقلانية ومنطقية لأخذها لغة علم وحضارة؟ هذا سؤال يبقى للمناقشة.

هوامش البحث:

[1] عبد الغاني تواتي، سياسة فرنسا في نشر لغتها، (الأمم الحية أمم قوية بلغاتها)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو الجزائر، ط 1، 2012، ص 80.

[2] م ن ص 81

[3] م ن ص 81

[4] انظر الإجراءات الإجرامية المجحفة الكثيرة التي فعلتها فرنسا أثناء الاحتلال للقضاء على العربية وإحلال اللهجة الفرنسية مكانها في العدد الخاص للمجلس الأعلى للغة العربية حول اللغة العربية بعنوان: العربية من محنة الكولونيالية إلى هيئتها الاستشارية، أو من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2007.

[5] انظر دوسوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي وآخرون، الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ط1، 1985. ص 61

[6] م ن ص 61

[7] م ن ص 62

[8] م ن ص 63

[9] ما عدا بعض القواعد الإملائية القليلة التي لها ما يفسرها مثل كتابة العدد 100 هكذا (مائة) بالألف بعد الميم، والأصح أن تكتب هكذا على النبرة (مئة)، وذلك أن الحروف قديما لم تكن تنقط، ولكي يفرقوا بين لفظتي (مئة) و(منه) المتشابهتين في الرسم إذا كتبا دون نقاط؛ أضافوا ألف التفرقة أو الفارقة وهي الموجودة في آخر المضارع الجمع المجزوم والمنصوب ليفرقوا بينه وبين المضارع المخاطب. وأسقطوا الألف اللينة من حروف الإشارة ومن كلمتي اسم والرحمن لكنها كتبت صغيرة فوق الحرف.

[10] دروس في الألسنية العامة، ص54

[11] م ن، ص 55

[12] م ن ص 55

[13] م ن ص 56

[14] م ن ص 57

[15] م ن ص 57

[16] م ن ص 50

[17] م ن ص 59

[18] م ن ص 64

[19] م ن ص 59